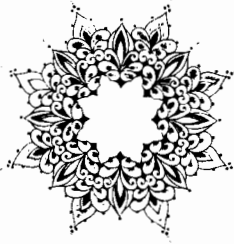
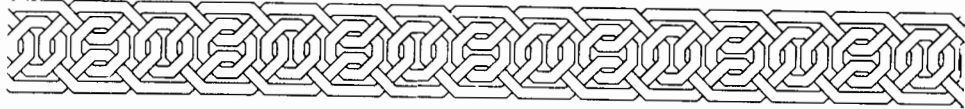


الكلام على قوله تعالى «إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» لابن تيمية



تحقيق الدكتور ناصر بن سعد السعيد



مقدمة :

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات التي ندت عن قواعد النحاة المعروفة مما أثار جدلا وخلافا بين القراء وبين النحاة بل وبين مدارس النحاة المختلفة ، وأحسب أن آية « ان هذان لساحران » من هذه الآيات التي شغلت النحاة والقراء والمفسرين الى يومنا هذا ، ومن تكلم فيها وأجاد الدكتور أحمد مكّي الأنصاري في كتابه « دفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين » الذي أفدت منه كثيراً .

هذا وأحسب أن شيخ الاسلام ابن تيمية خير من تكلم عن هذه الآية ، فقد أفرد لها رسالة من بين فتاواه عرفت بالكلام على قوله تعالى : ﴿ان هذا لساحران﴾ بسط فيها القول ، وهذه الرسالة لها نسختان مخطوطتان أصلهما في الظاهرية ، والأخرى في المكتبة الأزهرية وكلاهما الآن من مصورات مركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي أولاها تبدو وكأنها كتبت في عهد قريب من المؤلف وهي غير مؤرخة وقد كتب خلف ظهر ورقة من ورقاتها هذا خط تقي الدين بن تيمية ، وهذا غير صحيح لأن أول المخطوط « قال شيخنا شيخ الاسلام » أما نسخة الأزهر فهي بخط الرقعة ، وهي لا تبعد كثيراً عن وقتنا هذا ، وربما كانت منقولة من نسخة الظاهرية ذلك أن الفروق بينهما قليلة جداً ، ورغم ذلك فقد ذكرت في مقابلة النسختين الفروق بينهما ورمزت للأزهرية بحرف الزاء .

هذا واني لأشكر للقائمين على مكتبة الميكروفيلم والتصوير في مركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي بكلية الشريعة ما بذلوه من عون وتسهيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على قوله تعالى :

« ان هذان لساحران »

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية
رحمه الله

قال شيخنا شيخ الاسلام تقي الدين بن
تيمية رحمه الله تعالى :

فصل في قوله تعالى : ﴿ان هذان
لساحران﴾^(١) فان هذا مما أشكل على كثير من
الناس فان الذي في مصاحف المسلمين « ان
هذان » بالألف ، وبهذا قرأ جماهير القراء ،
وأكثرهم يقرأ « ان » مشددة، وقرأ ابن كثير
وحفص عن عاصم^(٢) إن مخففة ، لكن ابن
كثير يشدد نون هذان دون حفص^(٣) ،
والاشكال من جهة العربية على القراءة
المشهورة وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي وأبي بكر عن عاصم وجهور القراء
عليها^(٤) ، وهي أصح القراءات لفظاً ومعنى ،

وهذا يتبين بالكلام على ما قيل فيها ، فان منشأ
الاشكال أن الاسم المثني يعرب في حال النصب
والخفض بالياء ، وفي حال الرفع بالألف ، وهذا
متواتر من لغة العرب لغة القرآن وغيرها في
الأسماء المثنية كقوله : « ولأبويه لكل واحد
منها السدس مما ترك »^(٥) ثم قال : « فان لم
يكن له ولد وورثة أبواه فلأمه الثلث »^(٦)
وقال : « ورفع أبويه على العرش »^(٧) وقال :
« وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين »^(٨)
ولم يقل الكعبان ، وقال : « واضرب لهم مثلاً
أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا
اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث »^(٩) ولم
يقول اثنان ، وقال : « قلنا اجعل فيها من كل
زوجين اثنين »^(١٠) .

وقال « ثمانية أزواج من الضأن اثنين
ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم أم الأثنين أما
اشتملت عليه أرحام الأثنين »^(١١) ولم يقل
اثنان ولا الذكران والأثنين ، وقال : « ومن كل

(١) طه : ٦٣

(٢) الحجة في القراءات السبع : ٢١٧ ، تفسير القرطبي : ٢١٦/١١

(٣) البحر المحيط : ٢٥٥/٦ ، الكشف عن وجوه القراءات : ١٠٠/٢ ، تفسير القرطبي : ٢١٦/١١

(٤) اعراب القرآن لابن النحاس : ورقة ١٣١ ، البحر المحيط : ٢٥٥/٦ ، المقتضب : ٣٦٤/٢

(٥) النساء : ١١

(٦) نفس السورة والآية

(٧) يوسف : ١٠٠

(٨) المائدة : ٦

(٩) يس : ١٤

(١٠) هود : ٤٠

(١١) الانعام : ١٤٣

هذان»^(٦) وذلك لأنه لم ير لها وجهاً من جهة العربية، ومن الناس من خطأ أبا عمرو في هذه القراءة، ومنهم الزجاج قال: «لا أجزى قراءة أبي عمرو خلاف المصحف».

وأما القراءة المشهورة الموافقة لرسم المصحف فاحتج لها كثير من النحاة بأن هذه لغة بني الحارث بن كعب، وقد حكى ذلك غير واحد من أئمة العربية^(٨) قال المهدوي: «٩» بنو الحارث بن كعب^(١٠) يقولون: ضربت الزيدان ومررت بالزيدان كما تقول: جاءني الزيدان، قال المهدوي: حكى ذلك أبو زيد والأخفش والكسائي والفراء^(١١)، وحكى أبو الخطاب أنها لغة بني كنانة^(١٢) وحكى غيره أنها

خلقنا (زوجين)»^(١) ولم يقل زوجان، وقال: «وان كن نساء فوق اثنتين»^(٢) ولم (يقول) (٣) اثنتان، ومثل هذا كثير مشهور في القرآن وغيره، فظن النحاة أن الأسماء المبهمة المبنية مثل «هذين واللذين» تجري هذا المجرى، وأن المبنى في حال الرفع يكون بالألف، (وفي حالتي التصب والجزم بالياء)^(٤)، ومن هنا نشأ الاشكال، وكان أبو عمرو إماماً في العربية فقرأ بما يعرف من العربية «ان هذين لساحران»^(٥)، وقد ذكر أن له سلفاً في هذه القراءة، وهو الظن به أنه لا يقرأ إلا بما يرويه، لا بمجرد ما يراه، وقد روي عنه أنه قال: «اني لأستحيى من الله أن أقرأ» ان

(١) الذاريات: ٤٩، وقد سقطت كلمة زوجين من الاصل

(٢) النساء: ١١

(٣) مزينة من ز

(٤) مزينة

(٥) الموضع: ورقة ٢٢٥، البحر المحيط: ٢٥٥/٦، تأويل مشكل القرآن: ٣٦، الكشف: ٣٠٦/٢، معاني القرآن للفراء: ١٨٣/٢

(٦) زاد المسير: ٢٩٧/٥، تفسير القرطبي: ٢١٦/١١

(٧) البحر المحيط: ٢٢٥/٦، ابراز المعاني: ٣٩٧، زاد المسير: ٢٩٩/٥

(٨) الحجة: ٢١٧، مغنى اللبيب: ٣٨/١، النوادر: ٣٠٧، املاء ما من به الرحمن: ٦٧، الانصاف: ٣٦/١، الصاحبي: ٤٩

(٩) هو احمد بن عمار المهدوي، نحوي لغوي مفسر من المهديّة له من التصنيفات التحصيل الجامع لعلوم التنزيل، والهداية والموضع توفي ٤٤٠ هـ

(١٠) انظر الموضع: ورقة ٢٢٥

(١١) البحر المحيط: ٢٢٥/٦، تفسير الطبري: ١٨١/١٦، حاشية ابن جماعة: ٢٧٧/١

(١٢) تفسير القرطبي: ٢١٧/١١

القرشيين الذين كتبوا المصحف هم وزيد : اذا
اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش فان القرآن
نزل بلغتهم ، ولم يختلفوا الا في حرف وهو
« التابوت » ، فرفعوه الى عثمان فأمر أن يكتب
بلغته قريش ، رواه البخاري في صحيحه (٦) ،
وعن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان
وكان يغاري أهل الشام في فتح أرمينية
واذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة
اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا
أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل ان
يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ،
فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلني اليها
بالمصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها
اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر
زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير
وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن
هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان
للرط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم وزيد بن
ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش

لغة لحنهم (١) ومثله قول الشاعر : (٢)

تزود منا بين أذناه ضربة
دعته الى هابي التراب عقيم

وقال ابن الانباري : هي لغة لبني
الحارث بن كعب (٣) قال الزجاج : وحكى أبو
عبدة عن أبي الخطاب ، وهو رأس من رؤوس
الرواة أنها لغة لكناته ، يجعلون ألف الاثنين في
الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد وأنشدوا :

فأطرق أطراق الشجاع ولو يجد
مساغا لنا به الشجاع لصمما (٤)

قال : ويقول هؤلاء : « ضربته بين
أذناه » (٥) ، قلت بنو الحارث بن كعب هم أهل
نجران ، ولا ريب أن القرآن لم ينزل بهذه
اللغة ، بل المثني من الأسماء المبنية في جميع
القرآن هو بالياء في النصب والجر كما تقدمت
شواهد ، وقد ثبت في الصحيحين عن عثمان أنه
قال : ان القرآن نزل بلغته قريش ، وقال للرط

(١) الموضح : ورقة ٢٢٥ ، تفسير الطبري : ١٨٢/١٦ ، مع الهوامع : ١٣٣/١

(٢) نسبة صاحب اللسان الى هوبر الحارثي (مادة هبا) وهو من شواهد شرح المفصل : ١٢٨/٣ ، ومع الهوامع : ٣٤/١ ، والطبري :

١٨٠/١٦ وابن الانباري : ١٢٥/٢ ، والصاحبي : ٤٩ ، والبيان في غريب القرآن : ١٢٥/٢

(٣) زاد المسير : ٢٩٨/٥

(٤) البيت للمتلمس انظر ديوانه : ٣٤ وهو في المؤلف والمختلف : ٧١ وروايته فيه « لنايه » ، وشرح المفصل ١٢٨/٣ وفيه « ولو يرى »

زاد المسير : ٢٩٨/٥

(٦) نص البخاري : « وقال عثمان للرط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ففعلوا » ولم يورد اختلافهم في التابوت (صحيح : ١٦١/٣ ، وانظر تفسير القرطبي : ٥٤/١ والحديث بنصه في سنن الترمذي : ٢٨٥/٥

القرآن ، ويعتبرون ذلك بحفظهم ، والانسان اذا نسخ مصحفا غلط في بعضه ، عرف غلطه بمخالفة حفظة القرآن ، وسائر المصاحف ، فلو قدر أنه كتب كاتب مصحفا ثم نسخ سائر الناس منه غير اعتبار للأول والثاني ، أمكن وقوع الغلط في هذا ، وهنا كل مصحف انما كتبه جماعة ، ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم ، ولو قدر أن الصحيفة كان فيها لحن فقد كتب منها جماعة لا يكتبون الا بلسان قريش فكيف يتفقون كلهم على أن يكتبوا « ان هذان » وهم يعلمون أن ذلك لحن كما زعم بعضهم .

قال الزجاج في قوله : « والمقيم الصلاة »^(٤) : قول من قال انه خطأ بعيد جدا ، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والقدرة ، فكيف يتركون فيه شيئا يصلحه غيرهم ، فلا ينبغي أن ينسب هذا اليهم ،^(٥) وقال ابن الأنباري : حديث عثمان لا يصح لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده^(٦) ، قلت ومما يبين كذب ذلك أن عثمان لو قدر ذلك منه فانما رؤي ذلك في

فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف (ثم)^(١) رد عثمان الصحف الى حفصة ، فأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر ما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ، وهذه الصحيفة التي أخذها من عند حفصة هي التي أمر أبو بكر وعمر بجمع القرآن فيها لزيد بن ثابت وحديثه معروف في الصحيحين وغيرهما^(٢) وكانت بخطه فلهذا أمر عثمان أن يكون هو أحد من ينسخ المصاحف من تلك الصحف ، ولكن جعل معه ثلاثة من قريش ليكتب بلسانهم فلم (يختلف)^(٣) لسان قريش والأنصار الا في لفظ التابوه والتابوت ، وكتبوه التابوت بلغة قريش ، وهذا يبين أن المصاحف التي نسخت كانت مصاحف متعددة ، وهذا معروف مشهور وهذا مما يبين غلط من قال في بعض الألفاظ : انه غلط من الكاتب ، أو نقل ذلك عن عثمان وأن هذا ممتنع لوجوه :

منها : تعدد المصاحف وإجماع جماعة على كل مصحف ، ثم وصول كل مصحف إلى بلد فيه كثير من الصحابة والتابعين يقرأون

(١) مزيدة

(٢) البخاري : ١٦١/٣

(٣) مزيدة

(٤) النساء : ١٦٢

(٥) معاني القرآن : ١٤٣/٢ مع اختصار ، وانظر زاد المسير : ٢٥٢/٢

(٦) زاد المسير : ٢٥٢/٢

نسخة واحدة ، فاما أن يكون جميع المصاحف اتفقت على الغلط ، وعثمان قد رآه في جميعها وسكت فهذا ممتنع عادة وشرعا من الذين كتبوا ومن عثمان ثم من المسلمين الذين وصلت اليهم المصاحف ورأوا ما فيها : وهم يحفظون القرآن ، ويعلمون أن فيه لحنا لا يجوز في اللغة فضلا عن التلاوة وكلهم يقر هذا المنكر ولا يغيره أحد ، فهذا مما يعلم بطلانه عادة ، ونعلم من دين القوم الذين لا يجمعون على ضلالة ، بل يأمررون بكل معروف وينهون عن كل منكر ، أن يدعوا في كتاب الله منكر لا يغيره أحد منهم ، ومع أنهم لا غرض لأحد منهم في ذلك ولو قيل لعثمان مر الكاتب أن يغيره لكان تغييره من أسهل الأشياء عليه ، فهذا ونحوه مما يوجب القطع بخطأ من زعم أن في المصحف لحنا او غلطا ، وان ثقل ذلك عن بعض الناس ممن ليس قوله حجة فالخطأ جائز عليه فيما قاله ، بخلاف الذين فعلوا ما في الصحف وكتبوه وقرأوه ، فان الغلط ممتنع عليهم في ذلك ، وكما قال عثمان : اذا اختلفتم في شيء ، فاكتبوه بلغة قريش ، وكذلك قال عمر لابن مسعود : أقرء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، فان القرآن لم ينزل بلغة هذيل^(١) وقوله تعالى في القرآن :

« وما أرسلنا من رسول الا بلسان

قومه »^(٢) يدل على ذلك ، فان قومه هم قريش كما قال : « وكذب به قومك وهو الحق »^(٣) .

وأما كنانة فهم جيران قريش ، والناقل عنهم معه^(٤) ، ولكن الذي سلسل ما سمع ، وقد يكون سمع ذلك بالأسماء المبهمة المبنية فظن أنهم يقولون في سائر الأسماء بخلاف من سمع « بين أذنائه » « ولناباه » فان هذا صريح في الأسماء التي ليست مبهمه وحينئذ فالذي يجب أن يقال انه لم يثبت أن لغة قريش بل ولا لغة سائر العرب أنهم ينطقون في الأسماء المبهمة اذا تثبت باليا ، وانما قال ذلك من قاله من النحاة قياسا جعلوا باب التثنية في الأسماء المبهمة كما هو في سائر الاسماء والا فليس في القرآن شاهد يدل على ما قالوه وليس في القرآن اسم مبهم مثنى في موضع نصب أو خفض الا هذا ، ولفظه « هذان » فهذا نقل ثابت متواتر لفظا ورسما ، ومن زعم ان الكاتب غلط فهو الغالط غلطا منكرا ، كما قد بسط في هذا الموضع فان المصحف منقول بالتواتر وقد كتبت عدة مصاحف ، وكلها مكتوبة بالألف فكيف يتصور في هذا غلط ، وأيضا فان القراء بما قرأوا إنما سمعوه من غيرهم ، والمسلمون كانوا يقرأون سورة طه على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، وهي أول ما نزل من القرآن ،

(١) فتح الباري : ٢٨٣/١٠

(٢) إبراهيم : ٤

(٣) الانعام : ٦٦

(٤) هكذا في النسختين

أن الصحابة إنما قرأوا كما علمهم الرسول ، وكما هو لغة العرب ، ثم لغة قريش فعلم ان هذه اللغة الفصيحة المعروفة عندهم في الأسماء المبهمة تقول : « ان هذان » و « مرت بهذان » تقولها في الرفع والنصب والخفض بالألف ، ومن قال إن لغتهم إنما تكون بالألف في الرفع طوب الشاهد على ذلك » والنقل عن لغتهم المسموعة منهم نثراً ونظماً ، وليس في القرآن ما يشهد له ، ولكن عمدته القياس وحينئذ فنقول : قياس هذا بغيرها من الأسماء غلبط ، فان الفرق بينهما ثابت نقلاً وسماعاً ، أما النقل والسماع فلما ذكرناه « وأما العقل والقياس فقد يفتن للفرق غير واحد من حذاق النحاة ، فحكى ابن الأنباري وغيره عن الفراء قال : ألف التثنية في « هذان » هي ألف « هذا » والنون فرقت بين الواحد والاثنين ، كما فرقت بين الواحد والجمع نون الذين^(٤) وحكاها المهدوي وغيره عن الفراء ولفظه قال : انه ذكر ان الألف ليست علامة التثنية بل هي ألف هذا ، فزدت عليها نونا ولم أغيرها كما زدت على الياء من « الذي » فقلت الذين^(٥) في كل حال ، قال : وقال بعض الكوفيين : الألف في هذا مشبهة

قال ابن مسعود : « بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول ، وهن من تلادي » رواه البخاري عنه^(١) ، وهي مكينة باتفاق الناس ، قال أبو الفرج وغيره : « هي مكينة باجماعهم ، بل هي من أول ما نزل »^(٢) وقد روي أنها كانت مكتوبة عند أخت عمر ، وأن سبب اسلام عمر كان لما بلغه اسلام أخته ، وكانت السورة تقرأ عندها^(٣) فالصحابة لا بد أن قرأوا هذا الحرف ، ومن الممتنع أن يكونوا كلهم قرأوه بالياء كأبي عمرو ، فانه لو كان كذلك لم يقرأها أحد الا بالياء ، ولم تكتب الا بالياء فعلم انهم أو غالبهم كانوا يقرأونها بالألف كما قرأها الجمهور ، وكان الصحابة بمكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة ، يقرأون هذه السورة في الصلاة وخارج الصلاة ، ومنهم سمعها التابعون ، ومن التابعين سمعها تابعوهم ، فيمتنع أن يكون الصحابة كلهم قرأوها بالياء مع أن جمهور القراء لم يقرأوها الا بألف ، وهم أخذوا قراءتهم عن الصحابة أو عن التابعين عن الصحابة ، فهذا مما يعلم به قطعاً أن عامة الصحابة إنما قرأوها بالألف كما قرأ الجمهور وكما هو مكتوب وحينئذ فقد علم

(١) ١١٤/٣

(٢) زاد المسير : ٢٦٨/٥

(٣) سيرة ابن هشام : ٣٧٠/١

(٤) زاد المسير : ٢٩٩/٥

(٥) تفسير القرطبي : ٢١٩/١١ ، مجمع البيان : ١١٤/١٦

« رحوان » ونحوهما من الأسماء الثلاثية و« ها » حرف تنبيه وقد قالوا فيما حذفوا لامة : « أبوان » فردته التثنية الى أصله وقالوا في غير هذا « دمان ويدان » أما « ذا » فلم يقولوا « ذوان » بل قالوا (ذان) (٤) كما فعلوا في « ذو وذات » التي بمعنى صاحب فقالوا هو ذو علم وهما ذوا علم كما قال : « ذواتا أفنان » (٥) وفي اسم الإشارة قالوا ذوا « ذان وتان » كما قال : « فذانك برهاننا من ربك » (٦) فان « ذا » بمعنى صاحب هو اسم معرب فتغير اعرابه في الرفع والنصب والجر فقيل « ذو وذا وذى » ، وأما المستعمل في الإشارة والاسماء الموصولة والمضمرات فهي مبنية ، لكن اسم الإشارة لم يفرق لا في واحده ولا في جمعه بين حال الرفع والنصب والخفض ، فكذلك في تثنيته ، بل قالوا « قام هذا وأكرمت هذا ومررت بهذا » وكذلك « هؤلاء » في الجمع ، فكذلك المثني « قال هذان » و « أكرمت هذان » و « مررت بهذان » فهذا هو القياس فيه أن يلحق مثناه بمفرده وبمجموعه ، ولا يلحق بمثنى غيره الذي هو أيضا معتبر بمفرده وبمجموعه ، فالأسماء المعربة ألحق مثناها بمفردها وبمجموعها ، تقول « رجل ورجلان ورجال »

بألف « يفعلان » فلم تغير كما تغير (١) قال : وقال المجرجاني : لما كان اسما على حرفين أحدهما حرف مد ولين وهو كالحركة ، ووجب حذف احدى الألفين في التثنية ، ولم يحسن حذف الاولى لثلا يبقى الاسم على حرف واحد فحذف علم التثنية وكان النون يدل على التثنية ولم يكن لتغيير النون الألف الأصلية وجه ، فثبتت في كل حال كما ثبتت في الواحد (١) «

قال المهدوي : وسأل اسماعيل القاضي ابن كيسان عن هذه المسألة فقال : لما لم يظهر في المبهمة اعراب في الواحد ولا في الجمع جرت التثنية على ذلك مجرى الواحد ، اذ التثنية يجب ألا تغير فقال اسماعيل : ما أحسن ما قلت لو تقدمك احد بالقول فيه حتى يؤنس به ، فقال له ابن له : ابن كيسان فليقل للقاضي حتى يؤنس به فتبسم (٢) ، قلت : بل تقدمه الفراء وغيره ، والفراء في الكوفيين مثل سيبويه في البصريين ، لكن اسماعيل كان اعتماده على نحو البصريين والمبرد كان خصيصا به ، وبيان هذا القول : أن المفرد « ذا » فلو جعلوه كسائر الأسماء لقالوا في التثنية « ذوان » ولم يقولوا « ذان » كما قالوا « عصوان » و

(١) تفسير القرطبي : ٢١٩/١١ ، اعراب القرآن لابن النحاس : ورقة ١٣٦

(٢) عقد المجرجاني في كتابه « المقتصد في شرح الايضاح » فصلا عن تثنية الاسماء المبهمة لوحة ٢٥٠

(٣) اعراب القرآن لابن النحاس : ورقة ١٣٦ ، تفسير القرطبي : ٢١٩/١١ ، انباء الرواة : ٥٨/٣

(٤) مزيدة

(٥) الرحمن : ٤٨

(٦) القصص : ٣٢

يؤيد ذلك أن المضمرات من هذا الجنس ،
والرفوع والمنصوب لهما ضمير متصل ومنفصل ،
بخلاف المجرورة فإنه ليس له الا متصل ، لأن
المجرور لا يكون الا بحرف أو مضاف لا يقوم
على عامله فلا ينفصل عنه ، فالضمير المتصل
في الواحد الكاف من « أكرمتك ومررت بك » ،
وفي الجمع « أكرمتكم ومررت بكم » ، وفي
التثنية زدت الألف في النصب والجر فيقال :
« أكرمتكما ومررت بكما » كما تقول في الرفع ،
ففي الواحد والجمع « فعلت وفعلتم » وفي التثنية
« فعلنا » بالألف وحدها زدت علما على
التثنية في حال الرفع والنصب والجر ، كما
زادت في المنفصل في قوله « اياكما وأنتا » فهذا
كله مما يبين أن لفظ المثني في الأسماء المبنية في
الأحوال الثلاثة نوع واحد ، لم يفرقوا بين
مرفوعه وبين منصوبه ومجروره ، كما فعلوا ذلك
في الأسماء^(٤) المعربة وأن ذلك في المثني أبلغ منه
في لفظ الواحد والجمع ، اذا كانوا في الضمائر
يفرقون بين ضمير المنصوب والمجرور ، وبين
ضمير المرفوع في الواحد والمثني لا يفرقون ،
وفي لفظ الإشارة والموصول ولا يفرقون بين
الواحد والجمع وبين المرفوع وغيره ، ففي المثني
بطريق الأولى والحمد لله وحده وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

فهو معرب في الاحوال الثلاثة ، يظهر الاعراب
في مثناه كما ظهر في مفردة ومجموعه ، فتبين أن
الذين قالوا : ان مقتضى العربية أن يقال « ان
هذين » ليس معهم بذلك نقل عن اللغة
المعروفة في القرآن ، التي نزل بها القرآن هي أن
يكون المثني من أسماء الإشارة مبنيا في الأحوال
الثلاثة على لفظ واحد ، كمفرد أسماء الإشارة
ومجموعها ، وحينئذ فان قيل : ان الألف هي
ألف المفرد زيد عليها النون ، أو قيل هي علم
للتثنية وتلك حذفت ، أو قيل بل هذه الألف
تجمع^(١) هذا ، وهذا معنى جواب ابن كيسان ،
وقول الفراء مثله في المغنى ، وكذلك قول
المرجاني ، وكذلك قول من قال ان الألف فيه
تشبه ألف « يفعلان » . ثم يقال : قد يكون
المحصول كذلك كقوله : « اللذان يأتيانها
منكم »^(٢) فان ثبت أن لغة قريش أنهم يقولون
« رأيت اللذين فعلا ، ومررت باللذين فعلا »
والا فقد يقال هو بالألف في الأحوال الثلاثة ،
لأنه اسم مبني ، والألف فيه بدل الياء في
الذين ، وما ذكره الفراء وابن كيسان وغيرهما
يدل على هذا ، فان الفراء شبه هذا باللذين^(٣)
وتشبيه اللذان به أولى ، وابن كيسان علل بأن
المبهم مبني لا يظهر فيه الاعراب ، فجعل مثناه
كمفردة ومجموعه وهذا العلم يأتي في الموصول ،

(١) هكذا في كلا النسختين

(٢) النساء : ١٦

(٣) اعراب القرآن لابن النحاس : ورقة ١٣١

(٤) في الأصل : « فعلوا في ذلك الأسماء » .

الجر وفتحت نونه وإذا ثني فتح آخره وكسرت نونه في الأحوال الثلاثة ، وهذا يبين أن الأصل في التثنية هي الألف وعلى هذا فيكون في اعرابه لغتان جاء بهما القرآن بأن يجعل كاللذان وتارة يجعل كاللذين .

ولكن في قوله : « احدى ابنتي هاتين » كان هذا أحسن من قوله هاتان لما فيه من اتباع لفظ المثني بالياء فيهما ولو قيل « هاتان » لأشبه خبران كما لو قيل « ان ابنتي هاتين » فاذا جعل بالياء علم (أنه)^(٥) تابع مبين عطف بيان لتام معنى الاسم ، لا خبر تتم به الجملة .

وأما قوله : « ان هذان لساحران » فجاء اسماً مبتدأ اسم ان ، وكان مجيئه بالألف أحسن في اللفظ من قولنا « ان هذين لساحران » الألف أخف من الياء ، ولأن الخبر بالألف ، فاذا كان كل من الاسم والخبر بالألف كان اسم مناسبة ، وهذا معنى صحيح ، وليس في القرآن ما يشبه هذا من كل وجه وهو بالياء ، فتبين أن هذا الموضوع المتواتر ليس في القياس الصحيح ما ينقضه لكن بينهما فروق دقيقة ، والذين استشكلوا هذا انما استشكلوه

ذكر شيخنا شيخ الاسلام هذه المسألة في موضع آخر ، وذكر فيها هذا الاعتراض :^(١) فصل وقد يعترض على ما كتبناه أولاً بأنه جاء ايضا في غير الرفع بالياء كسائر الأسماء قال تعالى : « وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس »^(٢) ولم يقل اللذان أضلانا كما قيل في الذين أنه بالياء في الاحوال الثلاثة ، قال تعالى في قصة موسى : « اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين »^(٣) ولم يقل هاتان ، وهاتان تبع لابنتي ، قد يسمى عطف بيان وهو يشبه الصفة كقوله : « والى ثمود أخاهم صالحا »^(٤) لكن الصفة مشتقة أو في معنى المشتق وعطف البيان يكون بغير ذلك كأسماء الاعلام وأسماء الاشارة ، وهذه الآية نظير قوله : « ان هذان لساحران » وأما قوله : « أرنا اللذين أضلانا » فقد يفرق بين اسم الاشارة والموصول بأن اسم الاشارة على حرفين ، بخلاف الموصول فان الاسم هو « اللذان » عدة حروف ، وبعده يراد علم الجمع فيكسر الذال ويفتح النون وعلم التثنية فيفتح الذال ويكسر النون والألف تقلب ياء في النصب والجر لأن الاسم الصحيح اذا جمع جمع الصحيح كسر آخره في النصب وفي

(١) ذكر ابن هشام اعتراض ابن تيمية في شذور الذهب ص ٥٠ بعبارة مختلفة اللفظ

(٢) فصلت : ٢٩

(٣) القصص : ٢٧

(٤) هود : ٦١

(٥) مزينة .

فهذه القراءة هي الموافقة للسمع والقياس ، ولم يشهر ما يعارضها من اللغة التي نزل بها القرآن والله أعلم .

وقوله : « احدى ابنتي هاتين » هو كقول النبي ﷺ : « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الآدميون » (٥) ومثله في الموصول قول ابن عباس لعمر : « أخبرني عن المرأتين اللتين قال الله فيهما » وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه.. الآية » (٦) والحمد لله وحده . (٧)

تحقيق : الدكتور

ناصر بن سعد الرشيد

من جهة القياس لا من جهة السماع ومع ظهور الفرق يعرف ضعف (١) القياس .

وقد يحسب من يفسر كون الألف في هذا هو المعروف في اللغة بأن يفرق بين (٢) قوله : « أن هذان » وقوله « احدى ابنتي هاتين » أن « هذا » تثنية مؤنث ، و « ذان » (٣) تثنية مذكر ، والمذكر المفرد منه « ذا » بالألف فزيدت فوق التثنية ، وأما المؤنث فمفرده « ذي » أو ذه أو ته » وقوله : احدى ابنتي هاتين تثنية « تي » بالتاء فكان جعلها بالياء في النصب والجر أشبه بالمفرد ، بخلاف تثنية المذكر وهو « ذا » فانه بالألف فاقراره بالألف أنسب (٤) ، وهذا فرق بين تثنية المؤنث وتثنية المذكر ، والفرق بينه وبين « اللذين » قد تقدم ، وحينئذ

(١) في ز : ضعيف

(٢) كلمة (بين) ساقطة من ز

(٣) في ز : دال

(٤) انظر المغني : ٣٩/١ ففيه عبارة مشابة

(٥) انظر مسند أحمد : ١٩/٤ مع اختلاف في النص .

(٦) البخاري : ١٤٨/٣ ، صحيح مسلم : ١١١٠/٢ ، مسند أحمد : ٤٨/١

(٧) مزيدة من ز

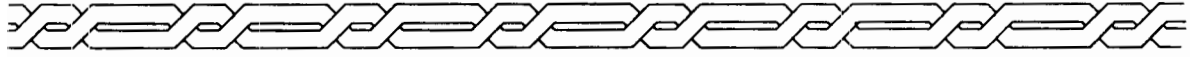
المصادر والمراجع

المخطوطات :

- ١ - اعراب القرآن للأصفهاني ، مصورة مركز البحث العلمي و احياء التراث الاسلامي بكلية الشريعة مكة المكرمة .
- ٢ - اعراب القرآن لابن النحاس ، مصورة مركز البحث العلمي .
- ٣ - التحصيل الجامع لعلوم التنزيل المهدوي ، مصورة مركز البحث العلمي .
- ٤ - المقتصد (شرح الايضاح) لعبد القاهر الجرجاني ، مصورة مركز البحث العلمي .
- ٥ - الموضح في وجوه القراءات للمهدوي ، مصورة مركز البحث العلمي .

المطبوعات :

- ١ - ابراز المعاني لأبي شامة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٢ - إملأ ما من به الرحمن للعكبري ، طبعة الحلبي بالقاهرة .
- ٣ - إنباه الرواة للقفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٣٧٤ هـ .
- ٤ - إعراب القرآن المنسوب للزجاج ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، القاهرة .
- ٥ - الإنصاف لابن الأنباري ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بالقاهرة .
- ٦ - البحر المحيط لأبي حيان ، الجزء السادس ، طبع السعادة بالقاهرة .
- ٧ - البيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري ، تحقيق : د . طه عبد الحميد طه . القاهرة ١٣٩٠ هـ .
- ٨ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق : أحمد صقر ، القاهرة ١٣٧٣ هـ .
- ٩ - تفسير الطبري ، الجزء السادس عشر ، بيروت ١٣٨٠ هـ .
- ١٠ - تفسير القرطبي ، القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٦٠ هـ .
- ١١ - حاشية ابن جماعة على شرح الجار بردي للشافية ، طبع دار الطباعة العامة بالقاهرة .
- ١٢ - الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، تحقيق : د . عبد العال السلام مكرم .
- ١٣ - دفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين ، للدكتور احمد مكي الانصاري ، القاهرة ، ١٩٧٣ .



- ١٤ - ديوان المتلمس ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٣٩٠ هـ .
- ١٥ - زاد المسير لابن الجوزي الجزء الثاني والخامس ، بيروت ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ هـ .
- ١٦ - سنن الترمذي ، تحقيق : ابراهيم عطوة ، القاهرة .
- ١٧ - سيرة ابن هشام ، الجزء الاول ، تحقيق الدكتور مصطفى السقا وزملائه ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .
- ١٨ - شذور الذهب لابن هشام الأنصاري ، تعليق عبد المتعال الصعيدي القاهرة .
- ١٩ - شرح المفصل لابن يعيش الجزء الثالث ، المطبعة المنيرية بالقاهرة .
- ٢٠ - الصاحبى لابن فارس ، تحقيق الدكتور مصطفى الشويحي ، بيروت ١٣٨٣ هـ .
- ٢١ - صحيح البخاري ، القاهرة .
- ٢٢ - صحيح مسلم ، الجزء الثاني القاهرة
- ٢٣ - فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، الجزء العاشر . القاهرة .
- ٢٤ - الكشف للزمخشري ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .
- ٢٥ - الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : دكتور محيي الدين رمضان ، دمشق ١٣٩٤ هـ .
- ٢٦ - لسان العرب لابن منظور .
- ٢٧ - المؤلف والمختلف للآمدي ، تحقيق : عبد الستار فراج ، القاهرة ١٣٨١ هـ .
- ٢٨ - مجمع البيان للطبرسي ، الجزء السادس عشر .
- ٢٩ - مجموعة الفتاوى لابن تيمية ، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي .
- ٣٠ - مسند الامام احمد ، الجزء الرابع ، القاهرة .
- ٣١ - معاني القرآن للفراء ، الجزء الثاني ، تحقيق د . محمد علي النجار وعلي النجدي القاهرة
- ٣٢ - مغنى اللبيب لابن هشام الانصاري ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، بيروت .
- ٣٣ - المقتضب للمبرد ، تحقيق : الشيخ عبد الخالق عضية ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ .
- ٣٤ - النوادر لأبي زيد الأنصاري ، تعليق : سعيد الخوري الشرتوني ، بيروت ١٨٩٤ هـ .
- ٣٥ - همع الهوامع للسيوطي ، تحقيق : الاستاذ عبد السلام هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم ، الكويت ١٣٩٤ هـ .